

أضواء البيان

@ 213 لذاك . .

كما قال تعالى { وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ الذِّكَاكِحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ } وهذا كله لا يتأتى إلا بالإحصاء . .
والإحصاء لا يكون إلا لمقدر معلوم ، وعليه فقوله تعالى : { قَدْ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } مؤكد لهذا كله ، وكذلك فيه نص صريح أنه تعالى قد جعل لكل شيء من الأشياء أياً كان هو قدراً لا يتعداه لا بزيادة ولا بنقص ، ولفظ شيء أعم العمومات . .
وقد جاءت آيات كثيرة دالة على هذا العموم عامة وخاصة ، فمن الآيات العامة قوله تعالى :
{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } . .
وقوله : { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا } . .
وقوله : { وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ } . .
وقد جمع العام والخاص قوله : { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ لَهُ إِلَّا بِمِقْدَرٍ مَّعْلُومٍ } . .
ومن التقدير الخاص في مخصص قوله : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرٌ نَّاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا السَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } . .
إنها قدرة باهرة وحكمة بالغة ، وإرادة قاهرة ، وسلطة غالبية ، قدرة من أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . .
وقد قال علماء الهيئة : أن حساب مسير هذه الأفلاك في منازلها أدق ما يكون من مآت أجزاء الثانية ، ولو اختلف جزء من الثانية لاختل نظام العالم ولما صلحت على وجه الأرض حياة ، ونحن نشاهد حركة الليل والنهار ونقصانهما وزيادتهما وفصول السنة كما قال تعالى :
{ وَاللَّيْلُ يُقَدِّرُ السَّيْلَ وَالنَّهَارُ عَلَمٌ أَلَسَّ تَحْمُوهُ } . .
وهو سبحانه وتعالى يحصيه ، وكذلك التقدير لوجود الإنسان قبل وبعد وجوده ، قال تعالى :
{ مِّنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ } أي قدر خلقه وصورته ونوعه كما بين ذلك بقوله : { يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِ ثَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِ ثَاءً } . إلى قوله :
{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } . .

وهذا أيضاً من آيات قدرته يرد بها سبحانه على من جحد وجوده وكفر بالبعث